2020

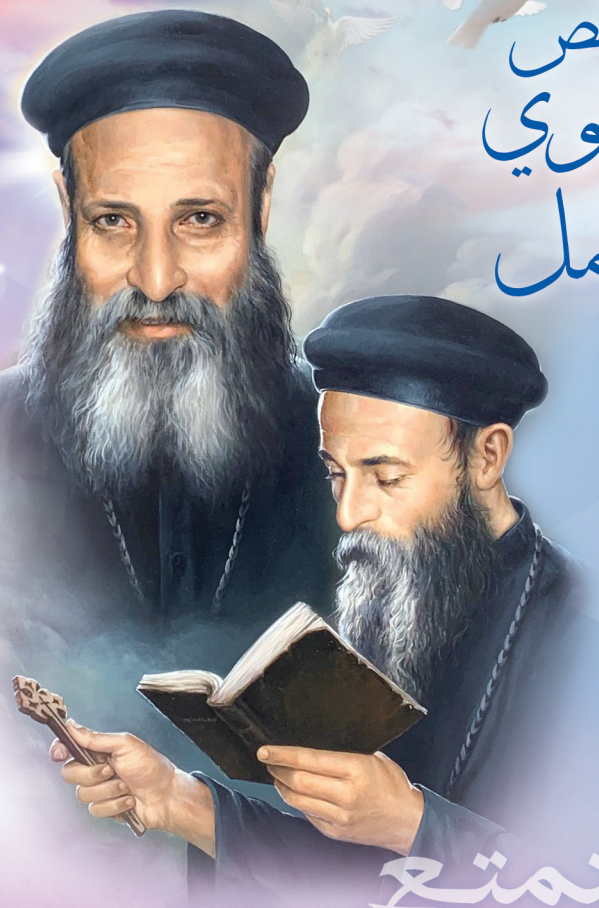

القمص بيشوي كامل

التمتع بأيقونة المسيح

للقمص
تادرس يعقوب ملطي

أقوال
القمص بيشوي كامل

. الصليب هو حياتى فلا حياة إلا من خلال الصليب.

. حين تنسى طلبك ستجد الاستجابة، حين يعجز البشر تأتي المعجزة، حين تقبل الحال ترى المحال.

. سيظل يسوع فاتحاً ذراعيه باستمرار لانه يريد نفسي التى مات عنها لكى يحتضنها.

. ليس الصليب مكاناً للعدل الإلهي فقط ولكن مكاناً للحب حتى الموت.

• الصلاة هي رفع العقل والقلب معاً إلى الله فتنعكس طبائع الله وجماله وأمجاده على الإنسان، فيصير على مثال الله.

• الصوم ليس فرضاً، أو عبئاً، ولكنه احتياج يسعى إليه القلب.

• الله يصنع في لحظة واحدة، ما يعجز الإنسان عنه، في سنين عمره كلها.

• ما أقواك أيتها التوبة وما أروعك انك أروع أيقونة للقيامة.

لمسات في حياة أبينا بيشوي كامل (١)

التمتع بأيقونة المسيح

سرّ نجاح أبينا القمص بيشوي كامل هو وضوح هدفه في الحياة، واستمرارية تحقيق هدفه هذا بدون تذبذب. هذا الهدف جعل من حياته عظة يقرأها كل من يلتقي به. وذلك من خلال علاقته بالسيد المسيح منذ شبابه المبكر حتى نياحته، كان يشتهي على الدوام أن يكون أيقونة حية للسيد المسيح، كما يشتاق أن يجذب معه كل من يلتقي بهم، ليختبروا عذوبة التمتع بهذه الأيقونة وفاعليتها وقوتها وإمكانياتها في حياتهم وهم بعد في الجسد.

أولاً: ترجمة عملية لهدفه في خدمة التربية الكنسية

• ظهر هذا الهدف بوضوح في حياته كخادم في التربية الكنسية بكنيسة السيدة العذراء بمحرم بك أو كأمين عام للتربية الكنسية بالكنيسة، خلال ملامح الحب والفرح باللّه والناس. امتزجت ابتسامته الدائمة بالسلوك في وقارٍ وبجدية، سواء مع خدام التربية الكنسية أو المخدومين من أطفال وصبيان وشباب سواء في الكنيسة أو في اللقاء مع الخدام في الاجتماعات والحفلات والاجتماعات بمنازل الخدام. بهذه الروح كان كل شخص من الخدام والمخدومين يشعرون أنه الصديق الشخصي لكل واحدٍ منهم والفريد. كل حياته الداخلية، وسلوكه الخفي والظاهر، ومعاملاته تعلن بوضوح عن خبرته بالشركة مع الثالوث القدوس العامل فيه وفي محبيه ليكون الكل «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢ بط ١: ٤).

فإننا لسنا مدعوّين لفضائل خارجية بل للاتحاد به، والامتثال به، فيكون لنا حب الرب، وقداسته، وصبره واحتماله وطول أناته ووداعته وبساطته. لهذا يقول الرسول: «لكي تصيروا شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة».

• في خدمته وهو شاب لم يبدأ أية خدمة بدون صلاة قصيرة مع تسبيح بلحنٍ أو ترنيمة يشعر فيها من هم حوله أنه متهلل بالروح. يقول الرسول: «ما هو اذا أيها الإخوة متى اجتمعتم فكل واحدٍ منكم له مزمور» (١ كو ١٤: ٢٦).

• يهتم بالطقس الكنسي في عبادته الخاصة أو الجماعية بترتيبٍ ونظامٍ وبدقة في كل شيء، بفكرٍ إنجيلي مبهج ونمو دائم كقول الرسول: «ليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب (١ كو ١٤: ٤٠). فيه يتحقق قول القديس يوحنا الذهبي الفم إن أعظم معجزة يفعلها مسيحنا المخلص أن يقيم من أرضنا سماءً، ومن المؤمن كائنًا شبه سماوي وملائكي.

• كان على علاقة قوية للغاية بالقديسين والسمائيين، يشعر أنهم إخوته الكبار الواقفون أمام العرش يطلبون من أجل خلاص كل البشرية، ويترقبون بشوقٍ عظيم انطلاقنا إلى الفردوس، للترحيب بنا، وتمجيد اللّه على عملهً الخلاصي الفائق.

ثانيًا: دعوته للكهنوت

• بينما كان يتوقع السفر للخارج في بعثة علمية كمعيد في كلية التربية، إذ به يُدعى للكهنوت. وكإنسان يبحث عن خلاص نفسه وخلاص إخوته لم يكن للعالم موضعًا في فكره وقلبه، فالتجأ إلى اللّه لا يطلب المشورة من إنسانٍ ما، بل سلَّم الأمر في يدي اللّه. ولحبه الشديد بكتابات الأب متى المسكين سافر إليه يطلب رأيه. ولحب الأب متى المسكين له وثقته الكبيرة فيه كقائد جذَّاب خاصة للشباب، طلب منه أن ينضم إلى مجموعته أحبائه الرهبان وطالبي الرهبنة، ويسلك طريق الرهبنة.

عاد في نفس اليوم إلى الإسكندرية، وسألته عن قراره، فأجابني بأنه مع عشقه للحياة الرهبانية يشعر بأن اللّه يدعوه للخدمة. وفي اليوم التالي ذهب إلى قداسة البابا كيرلس. فوجئ الأخ سامي كامل بالبابا يقول له: «أنت أخذت المشورة بالأمس؟!» أجابه سامي: «أنا مشتاق للخدمة!» فسُر البابا أن يكرسه لخدمة الكهنوت.

رأى سامي كامل في الكهنوت إمكانية إعداد قادة من الشباب للعمل الروحي في كرم الرب. كان مفهومه للحياة الكنسية هو العمل لخلاص البشر بروح الصلاة مع الحب وتشجيع كل شاب للعمل بجدية في ملكوت اللّه.

• تقديره للمواهب المتعددة:

أ. قبل سيامته كاهنًا كان بالقاهرة مدرستان رئيسيتان: مدرسة كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا تميل إلى الاهتمام بالحياة النسكية الداخلية وكان يمثلها نظير جيد (أي نيافة الأنبا شنودة أسقف التعليم، وقد اُختير بطريركًا فيما بعد) ومعه زملاؤه الخدام. ومدرسة خدام الجيزة ويمثلها الأب مكاري السرياني وصار فيما بعد أنبا صموئيل أسقف الخدمات

الاجتماعية والمسكونية ومعه زملاؤه الخدام. والحق يُقال إن المدرستين كانتا محفوفتين بقادة رائعين. ولكل مدرسة لها دورها الحي في الحياة الكنسية والخدمة. لم ينحز سامي كامل لإحدى هاتين المدرستين على حساب المدرسة الأخرى. كان يؤمن أنهما يتسمان بالحب ووحدة الهدف يعملان بروح الله القدوس لبنيان ملكوت الله، كل يشتاق أن تقبل كل مدرسة ما هو مبارك في المدرسة الأخرى، دون إضاعة الجهد والوقت في حواراتٍ جافة غير البناءة.

يظهر اتساع قلب أبينا بيشوي ونقاوة فكره أنه في خلال السنة الأولى لسيامتي ذهب إلى مؤتمر بأوروبا والتقى هناك بنيافة الأنبا صموئيل. وعندما سألته عما استفدت منه في المؤتمر، قال لي: أروع ما استفدت به هو اكتشافي لشخصية نيافة الأنبا صموئيل. ففي كل ليلة كان يقضي فترات طويلة معي، وتلمست فيه روح الحب واتساع القلب والروحانية العميقة في قلبه بخلاف ما كان يظنه البعض أنه اجتماعي بحت بلا روحانية!

ب. حرصه الشديد على تكريس وقت الكاهن في العمل الإيجابي. كان لنا لقاءات محبة معًا هو وأبونا لوقا سيداروس وضعفي، وكان ما يشغلنا أن نناقش معًا بروح المحبة الضعفات التي قد نسقط فيها.
في إحدى اللقاءات قال: «إن تحدث أي كاهن منا عن السياسات الكنسية أو الخلافات بين القادة الكنسيين، يطلب الاثنان منه أنهما لا يريدان الاستماع إلى هذا الحديث.»

ج. كثيرًا ما كان يردد بيننا أنه يليق بنا أن نحب الجميع دون تحيز لشخص ما. سألته يومًا: «ما رأيك في أبينا الأب متى المسكين؟» أجابني: «أنت تعلم أني أحب كتاباته، خاصة كتاب «حياة الصلاة» الطبعة الأولى لأنها كانت مبسطة للغاية.» كان يطلب من المعترفين أن يقرأوا القسم الخاص بالأنشطة الخارجية مثل الصوم والمطانيات الخ. وكان يخشى أن يسيء المبتدئون في الحياة الروحية فهم الحديث عن الدهشة والتأمل الخ.

مع حبه لأبينا الأب متى المسكين قال لي إن الكنيسة فوق كل الأشخاص ويمثلها قداسة البابا (كيرلس السادس في ذلك الحين) إنه كان يحب البابا وأبانا متى المسكين.

عند سفري في عام ١٩٧٠ لاستلام الخدمة منه في كاليفورنيا سألته: لم أرك قط تقوم بتوزيع أية صورة لقداسة البابا أو الأساقفة في مصر، والآن أراك تهتم بتوزيع صورة البابا للجميع، الكبار والصغار، لماذا؟ أجابني: في مصر يلتقي الشعب بالبابا رمز الكنيسة، أما هنا فلا يقدر البابا أن يزور الكنيسة في المهجر، فتوزيع صورة البابا يحفظ فكر الشعب، خاصة الذين يولدون في المهجر، أن يرتبطوا بالكنيسة الأم.

ثالثًا: الالتزام بروح الاعتدال في كل شيءٍ، من أمثلة ذلك الآتي:

- تفكيره الدائم في محبة الله، ونعمته المجانية، وأبوته للمؤمنين، وترفقه بالساقطين، مع اقتنائه مخافة الرب فلن يسمح لنفسه أن يجلس على كرسي داخل الهيكل، إذ يشعر أنه في السماء أمام عرش الله. واضطر تحت ضغط المرض الشديد والعجز عن الوقوف أن يجلس ليتمتع بالشركة في القداس الإلهي.
- في صلاته بالقداس الإلهي يكاد يقف على مشط قدميه وهو يصرخ كمن يرغب أن يطير إلى السماء لينعم بالأحضان الإلهية.
- روى لي شماس أنه وهو طالب غالبًا في الثانوي أو بداية دراسته الجامعية، كان يشترك في خدمة الهيكل في وسط الأسبوع. وفي إحدى المرات حدثت حركة غريبة في صحن الكنيسة، فالتفت نحو صحن الكنيسة. تطلع إليه أبونا بيشوي بنظرة تحمل عدم رضاه عن تصرفه. وبعد القداس الإلهي قال له: «كيف تحوّلَ نظرك من المذبح إلى صحن الكنيسة». لو اشتعلت نار، لا تحول نظرك عن الذبيحة، مسيحنا قادر أن يطفئ النيران».

رابعًا: اهتمامه بحياة التوبة والاعتراف

ليس ما يشغله في رعايته مثل التمتع بحياة التوبة والاعتراف بفكر روحي سليم. هذا ما نلمسه عمليًا في خدمته

- إذا ما قمنا بزيارة مشتركة وطلب أحد أفراد الأسرة موعدًا للاعتراف، يسأله إن كان مستعدًا للاعتراف فورًا فيأخذه في أية حجرة ليجلس معه فيها، إذ يخشى إن أعطاه موعدًا ليوم آخر قد يفتر الشاب روحيًا.
- رأى شابًا في الطريق بجوار الكنيسة فوقف وسأله عن تأخره في الاعتراف، وإذ تجاوب الأخ معه طلب منه أن يركب السيارة معه ليعترف، فاستأذنت منهما للخروج من السيارة ويجلس الشاب للاعتراف. وإذ عدت إلى السيارة قال لي: «الشيء الوحيد الذي أطلب ممارسته فورًا هو قبول اعتراف أي شخص في أي مكان، إذ أخشى أن يفقد روح التوبة.»

• يحرص دومًا ألا يتحول الاعتراف إلى سرد قصص، لهذا لا يطلب أي تفاصيل إلا عند الضرورة لإرشاد المعترف.
• في قبوله للاعتراف يحرص ألا يتدخل في حياة المعترف، فلا يقدم له أسئلة خاصة به، كما يرفض الدخول في تفاصيل الخطايا لئلا تثير المعترف نفسه أو تفسد نقاوة أذن الكاهن.
• في جلساتنا معًا كثيرًا ما كان يفتح موضوع الاعترافات. ولما كان عدد الطلبة الوافدين من الوجه القبلي والبحري كثيرًا جدًا لعدم وجود كليات في غير القاهرة والإسكندرية وأسيوط في ذلك الوقت.
في إحدى الجلسات طلب توزيع أسماء الطلبة كل خمسة أشخاص معًا، إما حسب الكلية أو حسب العناوين. ويقدم أب الاعتراف لكل معترف أن يفتقد الخمسة أشخاص ويهتم بهم. بهذا يتدرب الشباب على خدمة الافتقاد.
• كان يطالب المتغرب أن يخدم بلده أو قريته روحيًا في إجازة نصف السنة والاجازة الصيفية. كان يؤمن بأن كل عضو في الكنيسة يلزمه العمل الروحي لبنيان ملكوت الله ونموه.
• كان جادًا في بث روح الرجاء مهما كانت سقطات الإنسان المعترف.
• يرفض سرد الأخطاء من ورقة مكتوبة، إنما يطلب من المعترف أن يكشف عما في قلبه حتى وأن نسي بعض الخطايا، حتى لا يتحول الاعتراف إلى روتين في حرفية جافة.

خامسًا: اهتمامه بافتقاد الأشخاص والعائلات

بعد شهر تقريبًا من بدء خدمتي الكهنوتية، سألني: «كم أسرة قمت بزيارتها هذا الشهر؟ أجبته أنني لأول مرة زرت هذه العائلات لذلك كنت أفتقد ثلاث عائلات يوميًا فيما عدا يوم السبت لحضور العشية، فقدم لي خبرته في الافتقاد.
• إنه يزور ما بين خمس وسبع عائلات يوميًا. لا تزيد الزيارة عن ٢٥ إلى ٣٥ دقيقة.
• تدور الجلسة حول قراءة جزء من الكتاب المقدس والتعليق الروحي عليه.
• شركة الأطفال في الزيارة.
• الحذر من إفساد الشيطان لهدف الزيارة، خلال التساؤل عن مشروعات الكنيسة وأنشطتها، إنما تكون الشركة مع الله هو هدف الزيارة.
• محاولة تشغيل كل فردٍ في عمل روحي وخدمة روحية.
• عدم التحدث في السياسات الكنسية.
• عدم الدخول في خصوصيات الأسرة.
• إن وجدت مشكلة عائلية يُفضل الذهاب إلى هذه الأسرة بعد آخر زيارة حتى لا تسحب وقت الكاهن فيُحرم من زيارة بقية الأسر.

سادسًا: اهتمامه بخدمة الكاهن المُسام حديثًا

ما يشغله عند سيامة الكاهن المُسام حديثًا الآتي:
• لا ينشغل بمجرد الاحتفال بسيامته، إنما يؤكد للشعب عدم التمييز بين الكهنة الذين هم أقدم منه في السيامة والكاهن الحديث السيامة، فعند سيامتي كاهنًا طلب مني أن أقوم بزيارة أحد القسمين من المنطقة في خلال ستة شهور وهو يقوم بزيارة القسم الثاني، ثم نتبادل القسمين، حتى يشعر الشعب بوحدة الخدمة.
• يعلن للشعب أن من يريد الاعتراف عند الكاهن الجديد لا يحتاج أن يطلب الحلّ من أب اعترافه.
• في أول عيدين بعد السيامة (القيامة والميلاد) يستلم الكاهن المُسام حديثًا الذبيحة والعظة، وخلال السنة يتفق الكهنة على توزيع الخدمات دون تمييز بينهم، هذا ولا يقبل نهائيًا أن يقدم أحدهما الآخر حتى لا يتشتت فكر الكهنة أو الشعب، إنما يعرف كل كاهن دوره سواء في الصلوات أو الوعظ.
• إن سمع أي نقد يتحدث مع إخوته الكهنة بروح الحب والصراحة.
• يهتم جدًا أن يكون النطق سواء في الصلوات أو التسابيح أو القراءات الكنسية أو الوعظ واضحًا حتى لا يجد المستمعون صعوبة في رفع قلوبهم إلى السماء.
• يؤكد للكاهن المُسام حديثًا أن يضع في قلبه تهيئة الصبيان والشباب لممارسة مواهبهم بجدية وفي اتضاع، وألا يستخف بأحد مهما كانت ضعفاته.
• له تعليقات بسيطة مع الكهنة لبنيان نفوسهم وعدم الانحراف عن الهدف.